زرادشت والزرادشتية

العضو المؤازد : علي سيدو الكوراني

زرادشـــت

هو النبي الايراني الذي عاش قبل المسيح ببضعة قرون وأصبحت ديانته الديانة الرسمية لدولتي مادي وفارس ومن والاهما من ألف سنة قبل ديانته الديانة الرسمية لدولتي مادي وفارس ومن والاهما أكثر من سنة قبل الاسلام . وعرف أتباعه في القران الكريم باسم المجوس . وكلمة مجوس معربة عن كلمة مگوسيا الپهلوية ومگاف Magav الآفستائية وكان يتلقب بها رجال الدين في مادي وفارس قبل ظهور زرادشت . وقد تسرب الكثير من عقائد المجوسية الى الزرادشتية كتقديس العناصر الأربعة ـ النار والتراب والهواء والماء . ولما اشتهر المجوس بالسحر واستعماله فان اليونان نقلوا هذه الكلمة الى لغتهم لتدل على السحر والشعوذة ، ومنها جاءت كلمة Magic بمعنى السحر في اللغات الاوربية الحديثة .

مولد زرادشت

هو زرادشت بن پور شسپ من اسرة سپيتمان ، ولد في بلدة قريبة من اورميا (رضائية) أو في اورميا نفسها في القسم الكردي من مقاطعة

آذربيجان الشمالية الغربية فيما كان يعرف قبل ميلاد المسيح ببلاد مادي وهي البلاد التي كان الشعب الكردي ومازال يسكنها وهي اليوم جزء من ايران الحديثة . وتذكر الروايات الايرانية ان مولده كان قبل علبة الاسكندر لايران ب ٢٥٨ سنة . وحيث ان الاسكندر فتح ايران بين سنة ٣٣٠ ـ ٣٣٣ ق م فتكون ولادته في نحو سنة ٥٨٩ ق م . وعندما بلغ الثلاثين من عمره هجر وطنه وبحيرته وسار الى الجبل حيث أقام عشر سنوات معتكفا ومفكرا الى ان تبدلت سريرته .

ولم تنتشر دياتته في بادىء الامر في المقاطعات الغربية من ايران حيث ولد ، لكثرة مبغضيه فيها فهاجر الى مدينة (بلخ) في ايران الشرقية حيث اكرم الملك ويشتاسف (Hystasp) حسبما جاء في النصوص اليونانية أو گشتاسپ كما تذكره الشاهنامة ، وفادته وقبل تعاليمه وكرس جهوده لنشرها فعمت جميع البلاد . وفي احدى الغارات التي قامت بها شعوب آسيا الوسطى مع الحدود الشرقية لايران اعتدى أحد الاتراك الطورانيين المغيرين على زرادشت وقتله في بيت نارهناك . وفي تأريخ حياة زرادشت ظاهرتان تذكراننا بسيرة النبي محمد (صلعم) الاولى ظهور نبؤته لما بلغ سن الاربعين والثانية هجرته من غاره الجبلي بسبب اضطهاد بني قومه الى الشرق لاعلان رسالته ونشرها .

والقول السائد بين المحققين ان تأريخ ولادة زرادشت لا يتجاوز القرن السابع قبل الميلاد . والپارسيون وهم أتباع زرادشت الموجودون حاليا في الهند يحتفلون بمولده في اليوم التاسع من شهر خرداد من الشهور الفارسية من كل سنة ، ويوافق اليوم الثلاثين من شهر آيار (مايو ، مايس) ويعتقدون انه ولد في سنة ٥٨٩ ق م . ويطلق على كتاب زرادشت النبي اسم آڤستا **Avesta** وهو مجموعة مؤلفة من خمسة أجزاء مستقلة

أو خمسة كتب يختلف تأريخ تدوينها . وأقدم قسم منها يرجع الى عصور زرادشت نفسه ، ويشتمل على أقواله وتعاليمه التي جمعها من بعده تلاميذه وأتباعه الأولون ودونوها ، ثم أضيف اليها ما وضعه فقهاء الزرادشتية القدامى من الاحكام والتقاليد الدينية . وبالتدريج تمت الاقسام الخمسة وظهرت في كتاب ديني موحد كان ومازال معول اتباعه في عباداتهم واحكام دينهم ، ولا يعرف بالضبط تأريخ تدوينه . وكانت توجد منه نسختان كبيرتان احداهما محفوظة في خزانة ملك الدولة الهخامنشية التي اسسها الملك كورش الأكبر في القرن السابع قبل الميلاد في اصطخر عاصمة البلاد ولاتزال آثارها موجودة في يومنا هذا قرب مدينة شيراز في جنوب ايران . والثانية بمدينة « شيز » بآذربيجان حيث ولد زرادشت .

وتقول الروايات الزرادشتية ان كتاب آڤستا كان في ذلك العصر يشتمل على ألف فصل يضمها واحد وعشرون نسكا أو بابا . وعندما قاموا في العصر الساساني بجمع متفرقات الكتاب بعد ماكانت أجزاؤه قد تبعثرت عقب حملة الاسكندر لم يستطيعوا الحصول على أكثر من ثلاثمائة وثمانية وأربعين فصلا قسموها الى واحد وعشرين نسكا أيضا . وعلى هذا يمثل كتاب آڤستا في العصر الساساني ما يقارب ثلث ما كان موجودا في العصر القديم . ويعتقد المستشرق وست وهو من المتخصصين في الدراسات الآڤستائية ــ ان هذا الكتاب الساساني كان يشتمل على ثلاثمائة وخمسة وأربعين ألفا وسبعمائة كلمة . وما تبقى منه حتى يومنا هذا يقارب ربع ما كان عليه في العصر الساساني مشتملا على ثلاثة وثمانين ألف كلمة .

وأسلوب آڤستا شعري خاصة في كتاب يشتها Yashtha العامر بتخيلات شعرية . ويعتقد المحققون ان اقساما من كتاب آڤستا كانت منظومة وبخاصة القسم الذي يعرف باسم « گاتها ــ الاناشيد » والظاهر ان هذه

الاناشيد كانت ترتل بصوت عال يشبه الغناء . وهناك كتابان آخران يرد اسماهما عادة مرفقين أو مرادفين لكتاب آفستا هما كتاب زند Zand و پازند Pazand . وكلمة زند بالفارسية تعني التفسير . والكتاب الموجود حاليا بهذا الاسم يرجع الى العصر الساساني ، وقد بقي منه حتى اليوم ما يقارب (١٤٤٠٠٠) كلمة . ويعتقد الزرادشتيون أنفسهم ان كتاب زند منزل أيضا على زرادشت مثل كتاب آفستا ولذلك يذكرونهما معا فيقولون « زنداڤستا » . وأما كتاب پازند فهو تفسير لكتاب زند بلهجة من اللهجات الفارسية تقع بين البهلوية والفارسية الحديثة ولعلها احدى اللهجات الكردية .

لقد مرت على الديانة الزرادشتية وكتاب آفستا عدة أدوار تأريخية أجملها في ما يلي :

الدور الاول

عصر الملوك الهخامنشيين ويبدأ في القرن السابع قبل الميلاد وينتهي بغزو الاسكندر وتغلبه على (دارا) آخر ملوك هذه الاسرة . ويعتبر هذا العصر عصر انتشار هذه الديانة وتوسعها وانتشارها في جميع البلاد الايرانية والبلاد الكردية كما ظهر في هذا العصر كتاب آفستا بصورة مدونة .

وبعد أن اعتنق الاكراد هذه الديانة اعني الزرادشتية تعصبوا لها وحافظوا عليها حتى ظهور الاسلام وقد ذكر ان قبيلة الردادي التي تنتمي اليها الاسرة الشدادية التي أقامت دولة كردية فيما وراء القوقاس في قراباغ ووادي الآراس ودوين في منتصف القرن الرابع الهجري ، والتي ينتمي اليها شاذي أبو نجم‌الدين أيوب وجد صلاح‌الدين الايوبي كانت تتعهد حماية المعابد والمراكز الدينية ابان اعتناقها الديانة الزرادشتية .

الدور الثاني

عصر الاسكندر المقدوني وخلفائه المقدونيين ويمتد نحو قرن من الزمان ، وقد نكل هؤلاء بالموابذة ورجال الدين الزرادشتي وهدموا معابدهم واحرقوا كتبهم ومنها كتاب آڤستا . ولم يبق لهذا الدين تأثير على الصعيد الرسمي وان ظل قائما على الصعيد الشعبي .

الدور الثالث

وهو دور الملوك البرتيين (الفرتيين) ويعرفون في التواريخ العربية باسم ملوك الطوائف أو الملوك الاشغانيين وهم من الاسر الايرانية الشرقية استخلصوا البلاد من الحكم المقدوني وحكموا قرابة خمسة قرون . ويعتبر هذا الدور دور الانتقال من اليونانية الى الايرانية . وفيه قام أحد ملوك هذه الاسرة بحماية الديانة الزرادشتية واحياء شعائرها وجمع الشتيت من كتاب آڤستا وتدوينه ثانية . ويعتقد ان ذلك كان في أواسط القرن الاول المسيحي في عهد الملك (دلخش) الاشغاني الذي ملك من سنة ٥١ـ٧٨م ، وكان معاصرا للامبراطور الروماني (نيرون) . وعلى ذلك يكون عصر جمع آڤستا وتدوينه من جديد قريبا من عصر جمع الاناجيل الاربعة وتدوينها .

الدور الرابع

وهو عهد الدولة الساسانية في أواخر الربع الاول من القرن الثالث المسيحي . ويعد هذا الدور دور تجديد الديانة الزرادشتية ورقيها وعصرها الذهبي ، وقد جعل الملك (اردشير) مؤسس هذه الدولة ، الزرادشتية الديانة الرسمية للبلاد وأمر كبير الموابذ في عصر (تنسر) بتنظيم أمورها وجمع ما تفرق من آڤستا وتدوينه من جديد وجعله الدين الرسمي الوحيد للبلاد ، وجعل اساس سياسته جمع الدين والملك . وقد ظل هذا الدين

باتشاره الواسع العمود الفقـري للامبراطورية الساسانيـة طوال عهدها المديد الذي استمر أكثر من أربعة قرون .

وبظهور الديانة الاسلامية وانتشارها في ايران أخذ ظـل الزرادشتية يتقلص بالتدريج . فلم يمض القرن الاسلامي الاول حتى غدت ديانة أقلية ضئيلة اخذت تهاجر الى المنـاطق الشرقية للبلاد أولا ، ثم قـام فريق منهم بالهجرة الى الصـين وفريق آخر الى الهند . ولاتزال هـذه الفئة الاخيرة تشكل في القـارة الهندية جالية كبيرة يقارب عددهـا (١٨٫٠٠٠) نسمة يسمون « پارس » ولهم أثر كبير في الحيـاة الاقتصادية الهندية . وتوجد في ايران نفسها فئة قليلة في مقاطعة كرمان وفي طهران وبعض المدن الاخرى يقدر عددها بنحو عشرة آلاف نسمة . وهي من الاقليات المذهبية الرسمية هناك .

اصول العقيدة الزرادشتية وفلسفتها

الزرادشتية تمثل الحياة الروحية والمعنوية تطورا من دور الاعتقـاد بتعدد الآلهة الى دور التوحيد . وفي الحياة المادية الاجتماعية تمثل تطورا من مجتمع يعيش على تربية المواشي والزراعة البدائيـة الى مجتمع زراعي متطور ، الى حياة مدنية فيها شيء من الرقي والتقدم . ولتوضيح هذيـن الامرين لابد من الرجوع قليلا الى الوراء لنلقي نظرة على العقائد الدينية عند الشعوب الآرية قبل زرادشت .

ان الشـعوب الآرية التي نزحت منذ آلاف السنين الى شـبه جزيرة الهند من جهـة وانتشرت في هضبة ايران من جهة أخـرى كانت قبل ذلك تـسكن المناطق الواقعـة بين شمال ماوراء النهر وشرقي بحـر قزوين وهي التي يسـمونها ايران العليا .

وعندما تتتبع المعتقدات الدينية للشعوب التي نزحت الى الهند والى الهضبة الايرانية نجد فيها عقائد بدائية مشتركة يظهر انها متحدرة من عصور موغلة في القدم وترجع الى عهد ما قبل انفصالها . والاثر الوحيد الذي نجد فيه اليوم آثارا من ذلك العهد السحيق هو الكتاب الديني الهندي « ريگفيدا » Rigveda وهو عبارة عن اناشيد وتراتيل تمثل عصرا بدأت الشعوب الآرية فيه تتحول من حياة الترحل والتنقل الى حياة الزراعة وعمارة الارض . ففي ذلك العصر وربما في عصور متأخرة بعد ذلك كانت العقائد الآرية كلها قائمة على تقديس عناصر الطبيعة المفيدة للحياة ، وكان النظر اليها نظرة الهية عليا ، فالسماء الصافية والنور والنار والشمس والارض التي نظرت اليها تلك الشعوب كأم حنون . والماء الذي منه كل شيء حي والرياح والرعود التي كانت تحيى الارض بأمطار السحاب كانت كلها من العناصر المقدسة ، يقابلها عناصر أخرى أو ظواهر طبيعية ضارة وهدامة كالظلمة والجفاف والبرد والمرض كانوا يعدونها ظواهر شيطانية ملعونة . فالقوى الفعالة في الكون عندهم هي آلهة للخير وآلهة للشر . وكانت آلهة الخير تكتسب مع تقدم الزمان قوة وتحتل مكانة أرفع وأعلى من مكانة آلهة الشر .

ولما ظهر دين « مهر Mihr » أو (ميترا) ـ Mithra آلهة النور وشاع قبل ظهور زرادشت لا في انحاء ايران فحسب بل في آسيا الصغرى وبلاد الروم أصبح الدين الوحيد الشائع في قسم كبير من الشرق والغرب طيلة قرون . في هذا العصر قطعت العقائد الدينية الآرية شوطا آخر نحو التوحيد وان لم تصل اليه تماما . فالاله مهر أو مترا احتل بين الآلهة الآخرين مكانة متميزة أرفع وأسمى ، وأصبح أكبر الآلهة وأقواها وان لم يكن الاله الوحيد .

أما اله زرادشت الذي يسميه « آهورامزدا » فليس أكبر الآلهة وأقواها فحسب بل الاله الوحيد القادر ، الصمد ، الازلي ، السرمدي ، العليم ، الرحوم ، العامل على سعادة البشر وصلاحهم ، وهو يرى ولا يرى . والكون من أدناه الى أقصاه ومن أسفله الى أعلاه يشهد بوجوده ، والشمس والقمر والنجوم والنباتات والمياه والحيوانات كلها أدلة على وجود الخالق وعظمته . وجميعها انتظمت مع نظام الخليقة وهو نظام أبدي غير قابل للتغير .

ويقول الدكتور هوگ ـ Dr. Haug وهو من العلماء المتخصصين في دراسة كتاب آفستا Avesta واللغة السنسكريتية « ان زرادشت النبي بعد اثباته وحدة الخالق وحدة لا تتجزأ قام بحل رموز هذه المسألة التي شغلت الافكار في كل عصر وفي كل ديانة بتقرير مبدأين وجدا في بدء الخليقة ، وهاتان القوتان وان كانتا متضادتين الا انهما متحدتان في عالم الوجود ، ولذلك سميتا بالقوتين التوأمين . »

ان الاخيار الذين يحبون زرادشت يحبون النور ويجب أن تكون أقوالهم وأفعالهم وأفكارهم ناصعة نقية كنور الشمس ، يتصفون بالصدق والصلاح . أما الاشرار فيختفون وراء الظلام لانهم جبناء . والصراع بين الصدق والكذب والنور والظلام والجمال والقبح صراع كبير . والكذب والظلام والشر والخراب مقضى عليها وهي في تناقض مستمر وزوالها يكون بامر الله . العمل الصالح يرضينا وعمل الشر يملأ نفوسنا فزعا وحياتنا كآبة . والشعور بالسعادة ينبثق من نور الله يشعر به الرجل كما تشعر به المرأة .

ولقد ناضل زرادشت ضد تعدد الآلهة وجعلهم في صف الضالين والمضللين . ووصف اتباعهم بعباد الشياطين . وهذا هو السبب في ان

كلمة ديو ــ Diew التي كانت تطلق على آلهة الآريين القدماء والتي لاتزال في اللغة الهندية تفيد المعنى نفسه ومنها اسم الله بالفرنسية ديو Dêw التي أصبحت في الفارسية والكردية Dêw بمعنى الشيطان لان هذه الآلهة غدت في الديانة الزرداشتية بمثابة شياطين وقد سمى الزرادشتيون أنفسهم مزد يسنان أي عباد آهورامزدا وسموا أتباع الآلهة القدامى ديو يسنان Dêw Yesnan ، أي عباد الشياطين فآهورامزدا من نظر زرادشت بمنزلة (يهوه) في الديانة الموسوية .

الزرادشتية في الكتب الاسلامية

اشتهرت الزرداشتية في الكتب الاسلامية بالثنوية ونسب اليها الاعتقاد بآلهين اثنين آله الخير وهو (آهورامزدا) وآله الشر (أهرمن) اما الزرادشتيون فلا يرون أنفسهم غير موحدين ولا يعتقدون بالثنوية بالصورة التي تنسب اليهم . غير ان في التعاليم الزرادشتية مايوهم هذا المعنى اذا حملت على ظواهرها ، فهذه العقيدة هي مما تسرب الى الزرداشتية من ديانات سابقة ، وقد تطورت فيها ولعبت دورا هاما في تاريخ المجادلات الفكرية والكلامية في كل الاديان ومنها الاسلام وخاصة على يد المانويين .

جاء في صبح الاعشى لابي العباس أحمد بن علي القلقشندي ج ١٣ ص ٢٩٣ من منشوارت وزارة الثقافة والارشاد القومي المصرية في هذا الصدد قوله « الزرادشتية الدائنون بدين المجوسية ــ وهم اتباع زرادشت الذي ظهر في زمن (كيستاسف) السابع من ملوك الكيانية وهم الطبقة الثانية من ملوك الفرس وادعى النبوة وحكى بوحدانية الله تعالى وانه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ، وانه خالق النور والظلمة ومبدعها ، وان الخير والشر والصلاح والفساد انما حصل من امتزاجهما ، وان الله تعالى هو الذي

مزجهما لحكمة (رآها) في التركيب ، وانهما لو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم ، وأنه لا يزال الامتزاج حتى يغلب النور الظلمة ، ثم يخلص الخير في عالمه وينحط الشر الى عالمه وحينئذ تكون القيامة . وقال باستقبال المشرق حيث مطلع النور ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الخبائث . وفي مكان آخر يقول : والمجوس يفضلون الفرس على سائر الامم ، ويفضلون الكتابة الفهلوية وهي الفارسية الاولى على غيرها من الخطوط ، ويعظمون النيروز (النوروز) وهو أول يوم من سنتهم وعيدهم الاكبر ، ويتبرأون من مزدك وهو رجل مشهور منسوب عندهم الى الزندقة ، ظهر في زمن قباذ أحد ملوك الأكاسرة وادعى النبوة . »

اعتقدت الشعوب الآرية القديمة بمبدأين مبدأ الخير ومبدأ الشر وهي ظاهرة طبيعية توجد في معتقدات شعوب اخرى ، الا ان هناك فرقا رئيسيا بين ثنوية الايرانيين القدماء وثنوية سواهم من الشعوب . وهذا الفرق يتلخص بأن اعتقادهم بوجود آلهة للشر ليس معناه عبادتهم هؤلاء الآلهة أو تقديم القرابين لهم والزلفى اليهم بالادعية والصلوات ارضاء لهم وتوقيا لشرورهم ، كما نرى عند سواهم من الطقوس والاعمال والقرابين التي يؤدونها . انهم على العكس من ذلك كانوا يدعون كل فرد لان يحارب آلهة الشر حتى يتغلب عليهم وينتصر ، ومن واجبات آلهة الخير ان يعينوا الانسان في كفاحه هذا . وقد كانت هذه المحاربة أساسا لمعتقداتهم . وعندما خرج زرادشت بتعاليمه ودعا الناس الى آله واحد هو آهورامزدا خالق الارض والسماء لم يبدد الفكرة الازدواجية أو الثنوية التي كانت متأصلة في النفوس تماما بل جعلها أساسا لفلسفته وتعاليمه ولكن الصورة تدخل في اطار من التوحيد .

ان بعض النحل والمذاهب المنبثقة من الزرادشتية في العصور المتأخرة

كالمانوية والزروانية غالت في نظرية ازدواجية القوى الفعالة في الكون واتخذتها أساسا لها فظهرت فيها الثنوية بصورة واضحة . وبما ان الثنوية هذه كانت من أكبر المذاهب الايرانية قبل زرادشت أيضا فلا جرم ان اشتبه الامر على أكثر المؤلفين والمتكلمين المسلمين ، ونسبوا كل ما عرفوه أو كل ما روي عن العقائد الفارسية القديمة الى الزرادشتية أو المجوسية نظرا لشهرتها أكثر من غيرها من المذاهب الفارسية . ومما يؤيد ما ذكرنا من ان العقيدة بازدواجية القوى لم تمس جوهر العقيدة الزرادشتية في الخالق ولم تخرجها من حظيرة التوحيد ، ان المجوس لم يعدوا في الاسلام من المشركين وذلك للآية الكريمة « ان الذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد » ولقوله (صلعم) « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » .

نظام الخلق العلوي في الديانة الزرادشتية

يأتي في الدرجة الاولى من مخلوقات آهورامزدا الملائكة السبعة ويسمون امشاسپندان وهم ذوو طبيعة مزدوجة بالنسبة الى عالم المجردات وعالم المادة فلكل منهم طبيعة لاهوتية واخرى ناسوتية ، وكل واحد منهم يمثل في عالم اللاهوت صفة من صفات الله الثبوتية ولا تزال اسماء هؤلاء الملائكة السبعة موجودة بين أسماء أشهر السنة الفارسية وهي :

فرورتي (فروردين) وارديبهشت وهرواتات وامرتات (خورداد ومرداد) وقد ورد ذكرهما فيالقرآن الكريم معا باسم (هاروت وماروت) وقد نسب اليهما السحر في الآية الكريمة التالية : « وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد

الا باذن الله ... » الى آخر الآية (١٠٢ من سورة البقرة) . وشهريور وهرمنه (بهمن) وسپندارمذ (اسفند) .

الملاك الاول (فرورتى) قوة الهية خلقها اهورامزدا ليدعم بها عالم الخير بأجمعه ، وهو مظهر لتحول الرحمة الآلهية. والملاك الثاني (اردیبهشت) هو في عالم اللاهوت مظهر الصدق والطهر والقدسية . وفي عالم الارض موكل بحراسة النار . والملاكان الثالث والرابع (هرواتات وامرتات) فالاول منهما مظهر للكمال الالهي من الوجهة اللاهوتية ، وهو موكل بالمياه في عالمنا الارضي . والثاني رمز للسرمدية الالهية في عالم اللاهوت ، وموكل بحراسة النباتات في عالم المادة . والملاك الخامس (شهريور) رمز للملك والقدرة الالهية في عالم اللاهوت ، وموكل بمعادن الارض في عالمنا المادي . والملاك السادس (هرمنه) يرمز في العالم العلوي للخصلة الطيبة . وفي عالم الارض موكل بحراسة المواشي والانعام . والملاك السابع (سپندارمذ) وهو في عالم اللاهوت مظهر للرحمة والصبر ، وفي العالم الارضي موكل بحراسة التراب .

يلي هؤلاء الملائكة المقربين السبعة ملائكة الدرجة الثانية باسم (يزدان) ، وهؤلاء لا يحدهم عدد ولا حصر ، وهم القائمون على حفاظة المخلوقات الالهية ، ولا يختصون بالعناصر المادية فحسب ، بل ان لكل من المفاهيم المعنوية والفضائل الاخلاقية كالنصر والصدق والامانة والوفاء والسلام والقدرة وأمثالها ملائكة مختصين بها . ومثلما ان الملائكة عديدون فالشياطين أيضا كثيرون . وهم قائمون بالآفات والشرور والظلمة والخيانة والغدر وأمثالها . وفي الكتب الاسلامية وخصوصا ما وضع منها في الحكمة المشرقية نجد آراء واصطلاحات فلسفية كثيرة تسربت اليها من الفلسفة الزرادشتية ، وأصبح بعضها أساسا لبعض المبادىء الفلسفية عند طائفة من الفلاسفة المشرقيين كشهاب الدين السهروردي وغيره .

النار والزرادشتية

في الديانة الزرادشتية ظاهـرة هامة لايمكن اغفالهـا تلك هي تقديس النار لدرجة أصبحت معها النار العنصر الرئيسي في المعابد الزرادشتية. حتى عرف المعبد الزرادشتي ببيت النار ، وحتى ظن البعض انها هي ربهم المعبود . والواقع ان نظرتهم التقديسية لها ليست لانهم يعتبرونها ربهم أو معبودهم ، بل لانهم يرون فيها مظهرا للنور الالهي ويرون شعلتها رمزا للطهر والسمو الربـاني .

وتقديس النـار ليس من وضع زرادشـت بل قديم جدا في الشـعوب الآرية ، ولكن زرادشت أقر هذا التقديس وأدخله في صلب دينه جاعلا منها محرابا لعبادة الله ومحملا شـعلتها الصاعدة دائمـا الى السـماء صلواته وصلوات قومه الى آهورامزدا .

المعتقدات الزرادشتية فيما يتعلق بالدنيا والآخرة والروح والجزاء والعقاب

١ ـ الحياة الانسانية لدى الزرادشتية مزيج من عنصرين عنصر ترابي يعبر عنه بالقالب يبقى في هذا العالم المـادي بعد موت صاحبـه ، وعنصر الروح الذي لا يفنى ويبقى بعد موت صاحبه في عالم الخلود .

٢ ـ الانسان يلاقي جزاء ما عمله في هذه الدنيا في الدار الآخرة ان خـيرا فخير وان شرا فشر وتكتب في السماء أعماله التي عملها في الارض ويحاسب عليها .

٣ ـ يكتب الملك (گوشوران) وهو ملك العدالة والرحمة بكل دقة اعمال الانسان ويقيس حسناته وسيئاته فان زادت حسناته على سيئاته يفلح والا فيعاقب ويجزى عن سيئاته . واما الروح بعد الموت فتجتاز جسرا وتصعد الى السماء ، ويسمى هذا الجسر (جينوت) وهو شـبيه بما

يقال عن « الصراط » في الاسلام الذي يحاسب المرء عند اجتيازه ، فان زادت الحسنات على السيئات يجتاز الجسر بسهولة ويصل الى الجنة ويخلد بجوار الرب (آهورامزدا) ، وان زادت السيئات يسقط في الهاوية ويبقى فيها معذبا خالدا مع الشياطين ، وان تساوت السيئات والحسنات فيصير الى عالم وسيط بين النعمة والعذاب ، عالم البرزخ الذي يسمى عند الزرادشتيين « هستگان » ويبقى هناك الى يوم الحساب حيث يحاسب على ما فعل في محكمة العدل الالهية التي تسمى « آكا » .

فلسفة الزرادشتية في الحياة المادية

يحاول زرادشت بتعاليمه المستمدة من صميم حياة قومه ان يخلق مجتمعا زراعيا صالحا وتستخدم الزرداشتية العقيدة بازدواجية القوى في سبيل تنشيط الحركة الاصلاحية النفسانية والحركة العمرانية الزراعية . وهذا ما يفسر شعار الزرداشتية المثلث : الفكر الصالح والقول الصالح والعمل الصالح « پندار نيك ، گفتار نيك ، كردار نيك » .

واذا كان من العمل الصالح السعي لخلق مجتمع زراعي خير ، فمن العمل الصالح كذلك في تعاليم آڤستا اعداد بنية سليمة تتلاءم مع هذا المجتمع الزراعي . لذا نجد تعاليم زرادشت تضفي على كفاح الانسان من أجل عمارة الارض واقامة الحياة وترقيتها مسحة من القدسية الالهية . فكل عمل اجتماعي يقوم به الانسان لا يفيد في حياته المادية فقط بل هو يوجب كذلك رضا الخالق واثابته اياه في الآخرة . وعلى ذلك فتربية الحيوانات الداجنة ورعايتها واصلاح الاراضي وزرعها تعد عبادة دينية وعملا روحانيا . وحياة اللامبالاة ، والبطالة التي ينتج عنها الفقر والعجز تعد من الآثام التي يحاسب عليها الدين ويستنكرها .

ففي كتاب (بندهشن) (أحد الكتب الزرادشتية) نقرأ : «يجب وقاية الاغنام وباقي الحيوانات من البرودة والحرارة والاضرار الاخرى ، واطعامها حتى تشبع ، فقد جاء في الدين ان (الملك) سروش الطاهر يأتي وقت صلاة العشاء ليتفقد كل ذوات الاربع والحيوانات والطيور ليرى ان كانت شبعى أولا ، فان تكن شبعى يبارك رب البيت وربته ، وان تكن جائعة يلعنهما . ولايجوز بخاصة ذبح الشاة الشابة الا ان تكون عقيما ... » وكذلك « يجب اعطاء الطير الذي في المنزل الماء والحب في اوانها ، ويجب كذلك حفظ الحيوانات والطيور نظيفة فتغسل وتزال عنها الاوساخ .

ونقرأ في الفقرات ٢٦ـ٢٩ من فرگرد (الفصل) الثالث من كتاب وندیداد في خطاب يوجه آهورامزدا الزرادشت . « يا زرادشت المجيد ، من يزرع على هذه الارض بساعديه الايمن والايسر تقول له الارض : انت يا من عملت على وجهي عملا سأظل به في المستقبل مثمرة وسابقى واهبة النعمة خذ مني احمالا وخذ منها معاشك » ومن لا يزرع على الارض تقول له هذه الارض : « انت يا من لم تزرع على وجهي شيئا ولم تعمل عملا . عليك أن تقف في المستقبل خلف الآخرين وتستنتج بهم ، ولا يصيبك من موائد الذين هم في رغد العيش وفي راحة وفرح الا الفتات وفضلات الاطعمة »★ .

وفي مكان آخر من آڤستا نقرأ في خطاب من آهورامزدا لزرادشت : « حقا أقول يا زرادشت ، انني أفضل الرجل المتزوج على غير المتزوج ، أفضل الذي له دار وسكن على من لا دار له ، أفضل من كان كان ابا على من كان بلا أولاد ، أفضل المالك على المعدم » . وأمثال هذه التعاليم كثيرة في آڤستا

★ پورداود ، فرهنگ ايران باستان ص٩٢ .

والغاية منها واضحة ، وهي ذم حياة اللامبالاة والتحرر من المسؤليات والبطالة التي ينتج عنها الفقر والعجز •

التكفير عن الاخطاء في الديانة الزرادشتية

يكون التكفير في بعض الاحيان بتأدية أعمال أو تقديم مواد تنفع الناس • ومن جملة ما يكفر به عن الاثام في المصادر الزرادشتية الامور التالية :

١ ــ اعطاء رجال الدين ما يلزمهم من الاسباب والادوات لانجاز وظائفهم •

٢ ــ اعطاء الفلاحين الادوات الزراعية التي تنقصهم •

٣ ــ اعطاء المحاربين ما ينقصهم من انواع السلاح •

٤ ــ تنقية الارض من الاوساخ والمواد الضارة وتحضيرها للزرع •

٥ ــ حفر الترع وايصال الماء الى الارض العطشى •

٦ ــ نكش الارض ذات الحفر والاخاديد •

٧ ــ تجفيف الاراضي المنخفضة والمستنقعات •

٨ ــ بناء الجسور وغرس الاشجار •

٩ ــ قتل الحيوانات والحشرات الضارة للانسان او للحيوانات والمحاصيل الزراعية •

الزرادشتية في يومنا هذا واثرها على الافكار في الغرب وفي الديانتين اليهودية والمسيحية

جاء في دائرة المعارف الامريكية **Collier's Encyclopedia** طبعة ١٩٦٥ تعريبه : « لايزال الزرادشتيون يقدمون قرابينهم في الهياكل

مصحوبة بالماء وبحزمة من اغصان الاشجار وسط حفل تقرأ فيه جميع الاناشيد المعروفة بـ « الگاتها » امام نار دائمة الاشتعال .

ويخلصون من موتاهم على طريقة الماديين Medes فيطرحون جثثهم في ابراج عالية . تأتى عليها جوارح الطير . ومن طقوسهم ان يحصل كل فرد منهم وهو بين السابعة والعاشرة من عمره على قميص أو ثوب وحزام يرتديها مدى الحياة . وتقوم فلسفتهم على الاحتفاظ بالحياة والطهارة واحترام الزواج وذم التقشف والزنا » .

طائفة البارسيين

ومما ترويه دائرة المعارف هذه ان أبناء طائفة البارسيين في الهند تجنبوا جميع المعتقدات والتقاليد الدينية السائدة فيها ولكنهم يزاولون أعمال التنجيم ويميلون الى التصوف ويؤمنون بتقمص الارواح . وقد حددوا في الآونة الاخيرة اتصالهم بأخوتهم في ايران واختلفوا معهم حول اقامة الشعائر الدينية والتقويم . وقد اقتبسوا في الهند الزي والتقاليد الاوربية وأصبحوا تجاراً بارزين وصناعاً مهرة . واشتهروا بكرمهم واحسانهم ، ويؤمنون بأن نبيهم زرادشت (زورواسترو) قد كان وحدويا وان الخير سيقضي على الشر في النهاية .

اثر الزرادشتية على الديانة والافكار في الغرب

بلغ أثر الايرانيين على الفلسفة والديانات في الغرب اشده في العصر الهليني . والدور الذي لعبه هذا الاثر على افكار فلاسفة الاغريق (اليونان) القدامى امثال هراقليتوس Heracletus وانا كسيماندر Anaximander واميبدوكليس Empedocles وافلاطون Plato وغيرهم ثابت .

ولكن الاغريق اخذوا يعتبرون في العصر الكلاسيكي زورداشتر (زرادشت) والمجوس رواداً لحكمهم قبل المسيحية وبعدها .

اثر الزرادشتية على اليهودية والمسيحية

من الواضح ان الزرادشتية تركت اثرها على اليهودية واثر سبي اليهود الى بابل . ويبدو هذا الأثر في الابحاث التي لها صلة بالملائكة والشياطين وفلسفة الحشر والنشر وخاصة في معتقدات الروحانيين الوثنيين الواردة في ملفات البحر الميت Dead Sea Rolls التي أكتشفت في كهف يطل على البحر الميت في المملكة الاردنية الهاشمية . واما اثرها على المسيحية فليس من السهل معرفته فقد اقتبست بعضه من الديانة اليهودية وجاءهاالبعض الاخر من ايران مباشرة عند مولد الديانة الجديدة يوم وصل ثلاثة منالمجوس الى بيت لحم واورشليم قادمين من المشرق وقالوا انهم رأوا نجم المسيح وجاءوا ليسجدوا له .

ونجد في سفر « رؤيا يوحنا اللاهوتي » من كتب العهد الجديد بحثاً عن الملائكة السبع يذكرنا بملائكة الزرادشتية السبع الخالدين . ومن المعتقدات والافكار التي دخلت الى المسيحية من الزرادشتية الحشر والنشر والقيامة .

★ ★ ★

مصادر البحث

١ ـ هكذا تكلم زرادشت : تاليف الفيلسوف الالماني نيتشه وترجمة فيلكس فارس .
٢ ـ الادب الفارسي في اهم ادواره . تاليف الدكتور محمد محمدي استاذ الادب العربي بجامعة طهران .
٣ ـ صبح الاعشى تاليف ابي العباس احمد بن علي القلقشندي .
٤ ـ دائرة المعارف الامريكية طبعة ١٩٦٥ Collier's Encyclopedia .
٥ ـ تاريخ فارس تاليف سيرجون مالكولم .